الإصدار السادس
المجلد (2) العدد (3)
25 يوليو 2026

المجلة السعودية للدراسات التربوية والإنسانية

واقع التفاعلات الاجتماعية في المدن الكبرى ذات النظام الديمقراطي: من منظور إرفنغ غوفمان

أ.د جاب الله زهية
(جامعة الجزائر2)

الملخص
نهدف من خلال هذا المقال إلى تسليط الضوء على منظور إرفنغ غوفمان للتفاعلات الاجتماعية في الحياة اليومية للأفراد في المدن الكبرى الأمريكية التي كانت ميدانا لبحوثه، ومن خلال ملاحظاته المباشرة وتفاعلاته وجها لوجه مع الأفراد، توصل إلى أن النظام الديمقراطي لم يحقق الأهداف المسطرة، لعدم تمكنه من تطبيق مبادئ العدالة والمساواة، لطغيان الاهتمام بالمصالح الشخصية في التفاعلات الاجتماعية. علما أن الواقع الاجتماعي يؤكد بأن تضارب المصالح بين الأفراد والجماعات يفتح المجال للخلافات والصراعات، الأمر الذي دفع بالأفراد إلى التفاعل مع الآخرين بتقديم صورة ظاهرية مخالفة لما في أعماقهم، وهو ما أطلق عليه غوفمان بالتمثيل على خشبة المسرح، بحيث يقدمون ظاهريا ما يحبذه الغير فقط لتفادي الصراعات وفي نفس الوقت لتحقيق أهدافهم المسطرة.
الكلمات المفتاحية: إرفنغ غوفمان؛ المدن الكبرى؛ الديمقراطية؛ التمثيل على خشبة المسرح، مسرح الحياة.

Résumé
Cet article vise à explorer le point de vue d'Erving Goffman sur la réalité de la vie quotidienne et des interactions sociales dans les grandes villes américaines qui ont fait l'objet de ses recherches. À travers ses observations et ses interactions avec les individus, il a conclu que le système démocratique n'atteignait pas ses objectifs, en raison de la prévalence de l'intérêt personnel dans les interactions sociales. Pour éviter les conflits, les individus ont recours à des interactions avec autrui en présentant une apparence contraire à leur nature profonde. C'est ce que Goffman appelait le « jeu sur scène », où l'acteur exhibe ce que les autres préfèrent, uniquement pour éviter les conflits et atteindre ses objectifs par des moyens pacifiques.
Mots-clés : Erving Goffman ; métropoles ; démocratie ; jeu de scène ; théâtre de la vie

المقدمة:

اعتمادا على التحقيقات الميدانية التي أجراها إرفنغ غوفمان في المدن الكبرى الأمريكية ذات النظام الديمقراطي، حاول دراسة التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد في حياتهم اليومية، كما حاول الكشف عن ظروف البيئة الاجتماعية في هذه المدن و تأثيرها على تفاعلات و سلوكات الأفراد. و بحث أيضا في طبيعة التفاعلات الاجتماعية المنتشرة في المدن الكبرى وانعكاساتها على الحياة اليومية وعلى التفاعلات الإجتماعية للأفراد. وإذا كانت أسس النظام الديمقراطي قائمة على إشراك كل الفئات الشعبية مهما كان سلمها الاجتماعي في المشاركة السياسية و حرية التعبير، إلى جانب الدعوة لتحقيق المساواة والعدالة الإجتماعية، فإنه من الواجب أن تنعكس هذه المبادئ في الحياة الإجتماعية و في ممارسات الأفراد لأدوارهم المتعددة في ظل حياة المدن الكبرى . لكن الباحثين الاجتماعيين الذين ركزوا على وصف وتحليل واقع الحياة الاجتماعية في هته المدن أمثال أنتوني غدنز ، الذي أكد على "انتهاج الحكومات الديمقراطية أساليب 'غير ديمقراطية' لممارسة مهامها، وانجراف بعض كبار المسئولين فيها لإغراءات الفساد، والمحسوبية، والرشوة واختلاس المال العام"(غدنز، 2005،ص482). علما أن الفساد لم يمس فقط الاهتمام بالمصالح الشخصية والكسب السهل و تحقيق الربح المادي نتيجة تغير القيم من الروحية و الأخلاقية للقيم المادية و الفر دانية، و إنما امتدت إلى تجاهل حقوق الفئات الناخبة لممثليهم الذين انتخبوا عليهم، "غير أن كثافة التواصل بين الأفراد والجماعات من خلال تقانات المعلومات الحديثة قد أسهمت في نشر المعلومات بين الناس عن هذه الممارسات السيئة . وأدى ذلك بدوره إلى تناقص مطرد في اهتمام الناس عموما بأجهزة الحكومة التنفيذية وثقتهم بقدرتها على خدمة مصالحهم" (غدنز، 2005،ص482).

التناقض الملاحظ في الحياة العامة بين مبادئ النظام الديمقراطي و واقع الحياة الاجتماعية في ظل هذا النظام الذي بحث فيه و كشف عن خفاياه الباحثين السوسيولوجين، دفع غوفمان إلى القيام بتحقيق ميداني في المدن الامريكية المتبنية لهذا النظام معتمدا على ملاحظات مباشرة و مقابلات وجها لوجه مع المواطنين، توصل من خلالها إلى كشف حقيقة الحياة اليومية في المجتمع الديمقراطي، وحقيقة تفاعلات الأفراد في ظل هذا النظام السياسي. وعليه سنركز في هذا المقال على تقديم أهم ما خلص إليه غوفمان حول الموضوع، مركزين على واقع الحياة الاجتماعية وطبيعة التفاعلات بين الأفراد في هذه المدن الكبرى .

1- منهجية البحث:

1.1. الإشكالية:

اهتم إرفنغ غوفمان بالبحث في خصائص الحياة الاجتماعية في المدن الكبرى الأمريكية خاصة ذات النظام الديمقراطي، و" الديمقراطية هي النظام الذي لا تتمثل فيه سلطة الحكم في الملك أو الطبقة الارستقراطية بل في الشعب الذي يستطيع عبر ممثليه أن يحكم نفسه بنفسه" (غدنز، 2005، ص471). وانطلاقا من القاعدة الاساسية للنظام الديمقراطي المتمثلة في المشاركة الشعبية في النشاط السياسي، فإن هذه المشاركة هي مؤشرا مهما لتدعيم النظام لمبدأ المساواة والعدالة الاجتماعية في جميع ميادين الحياة الاجتماعية، سياسية كانت أو اقتصادية أو تربوية ... وغيرها، سواء في أداء الواجبات أو الحصول على الحقوق. لكن علماء الاجتماع الأمريكيين الذين عايشوا المجتمع الأمريكي و اهتموا بالبحث في خصائص الحياة اليومية ومنهم Bell Daniel (1973) "قد أوضح منذ عدة عقود أن الحكومات الوطنية قد أصبحت في كثير من الحالات مسخرة لتوجيه سياساتها وجهة تخدم قطاعات اقتصادية واجتماعية وسياسية معينة دون غيرها "(غيدنز،2005،ص481). هذا الاعتراف لـ دانييل بيل يؤكد تفاوت الفرص بين القطاعات في الحصول على الخدمات، و ما ينطبق على الأنساق الكبرى ينطبق أيضا على الأنساق الفرعية إلى أن يصل إلى التفاوت بين الأفراد، مما يؤكد على أن مبدأ المساواة والعدالة الاجتماعية يبقى حبر على ورق. ويؤكد أيضا أ.غدنز أن النظام الديمقراطي لم يحقق الفعالية المسطرة في بدايته، لعدم تمكنه من تطبيق مبادئ الديمقراطية لطغيان الاهتمام بالمصالح الشخصية في التفاعلات الاجتماعية، و في أداء الأدوار بما فيهم الأدوار السياسية. حيث صرح بأن "المواطنين في الدول الديمقراطية قد بدأوا يفقدون ثقتهم بالسياسيين وبممثليهم المنتخبين لإقتناعهم المتزايد بأن نشاط هؤلاء في إطار النظام الديمقراطي لن يؤثر في حياتهم بصورة إيجابية ... ويتجلى تزايد عزوف المواطنين عن السياسيين و المشاركة السياسية عند النظر إلى مطالبهم و احتياجاتهم على الصعيدين الوطني و المحلي" (غدنزأ 2025،ص481). فعدم تجسيد مبادئ

الديمقراطية لتحقيق العدالة في تلبية حاجات الأفراد والمؤسسات و المناطق بصفة عامة يعتبر مؤشرا أساسيا للحفاظ على استمرارية التقسيم الطبقي.
وإذا كان تجسيد مبدأ أي نظام سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يبرز في المدن الكبرى التي تعرف كثافة بشرية مهمة، والتي يصفها مانويل كاستلز (Castells, 1996) بكونها " لا تتميز بحجمها السكاني أو الجغرافي فحسب، بل بدورها باعتبارها نقاط التقاء رئيسية بين التجمعات البشرية الهائلة من ناحية و الاقتصاد المعولم من ناحية ثانية . وستكون هذه المدن بمنزلة جيوب من النشاط و الفعالية و النفوذ تتدفق فيها ومنها مؤثرات السياسة، ووسائل الإعلام والاتصالات، والمال والإنتاج" (غدنز،2005،ص604) . هذه الأنشطة والتفاعلات التي تجرى في المدن الكبرى المتبنية للنظام الديمقراطي، هي الأخرى ضحية لتغير القيم الاجتماعية. فإذا كانت المنفعة المادية الخاصة هي أساس التفاعلات بين الأفراد و بين المؤسسات، و إذا كان الحقل الأدبي قد صرح بأن تداخل المصالح بين الأفراد والجماعات والاهتمام فقط بما هو شخصي بفتح المجال لنشوء خلافات بين الأفراد و الجماعات وغالبا ما ينتهي الامر بالصراع . في ظل هذا الوضع المفعم بالخلافات اهتدوا الأفراد إلى ممارسات تحد من الصراعات. و قد فسرها إرفنغ غوفمان في "التمثيل على خشبة المسرح" بحيث يتعاملون و يتفاعلون مع الآخرين بهدوء، بحيث يقدمون لهم ظاهريا ما يحبذونه فقط لامتصاص طاقة غضبهم لتفادي الصراعات و في نفس الوقت يبلغون أهدافهم الخفية.
من هذا المنطلق سنحاول في هذا المقال الإجابة على تساؤل أساسي يتمثل في :
كيف يصف إرفنغ غوفمان التفاعلات الاجتماعية في المدن الكبرى ذات النظام الديمقراطي؟
وقد اقترحنا فرضية أساسية صغناها كما يلي:
في محاولة لتحقيق التوازن بين مبادئ الديمقراطية التي تدعو إلى المساواة و العدالة من جهة و لرغبة في تحقيق المصالح الخاصة و لو على حساب الجماعة، لجئوا الأفراد إلى التمثيل. بحيث في تفاعلاتهم مع الاخرين أصبح الفاعل يميل إلى التظاهر بما ليس في نفسه، إذ يقدم للآخرين الصورة التي يرغبون فيها حتى و إن كانت لا تتماش مع رغباته و مواقفه، بغية الحفاظ على استقرار الوضع وتحقيق مصالحه الشخصية دون اعتراض الآخرين.

2.1. المنهجية المعتمدة:

لكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف يتم دراسة واقع الحياة اليومية في المدن الكبرى؟
للإجابة على السؤال المطروح استعنا بالاتنوميتودولوجيا " حيث ذكر جارفينكل في تحديد المقصود بالاتنوميتودولوجيا أنها تحلل الحياة اليومية تحليلا يكشف المعاني خلف هذه الأنشطة ، وتحاول أن تسجل هذه الأنشطة وتجعلها مرئية و منطقية وصالحة لكل الإغراض والكشف عن الطرائق التي يسلكها الأعضاء خلال حياتهم اليومية"(جلبي، 2011، ص279). وعلى أساسها نقدم منظور إرفنغ غوفمان في تحليله للتفاعلات الاجتماعية في الحياة اليومية في المدن الكبرى الأمريكية، و للتفاعلات القائمة بين الأفراد و ما تقدمه من سلوكات ظاهرية و ما تخفيه من نوايا و معاني، و ذلك بمحاولته الكشف عن ظاهر تطبيق مبادئ النظام الديمقراطي في هذه المدن وانعكاساتها على ممارسات الأفراد وسلوكهم الظاهري والمعاني الخفية التي تتضمنها.

2. واقع الحياة اليومية و التفاعلات الاجتماعية في المدن الكبرى حسب إرفنغ غوفمان:

1.2. التناقض بين مبادئ الديمقراطية والواقع الاجتماعي في المدن الكبرى:

إذا كان نشاط الأنظمة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية بمختلف أشكاله و مجالاته يبرز في المناطق الحضرية عامة وفي المدن الكبرى التي تعرف كثافة سكانية كبيرة، فإن الحياة الاجتماعية و التفاعلات بين الأفراد تتعقد أكثر وتتخذ أشكالا متباينة حسب تباين اهتمامات و حاجات الأفراد، ووفق متطلبات الحياة اليومية في هذه المدن . فالحياة السياسية كثيرا ما تجذب منخرطين في مختلف الاتجاهات السياسية و من مختلف الفئات الاجتماعية، و لتحقيق الأهداف والطموحات السياسية فإن العديد من الفاعلين يسعون إلى فرض وجودهم في الساحة السياسية من خلال الاجتهاد في نقل الخطاب و التأثير في الجمهور و لو بنوايا تخدم المصالح و الأهداف الذاتية. وما ينطبق على التفاعلات في المجال السياسي ينطبق على التفاعلات في المجال الاقتصادي والإعلامي والاجتماعي وغيرها من المجالات المرتكزة في هذه المدن، التي تفتح المجال للمنافسة و الصراع لتحقيق الطموحات الخاصة .
معايشة إرفنغ غوفمان للمدن الكبرى ذات النظام الديمقراطي ساهم في تسليطه الضوء على التناقضات القائمة بين مبادئ الديمقراطية والواقع الاجتماعي المعاش، سواء على مستوى أداء الوظائف والأدوار أو في الحصول على

المراكز والامتيازات الاجتماعية. إذ مازال تطبيق مبدأ العدالة و المساواة أمرا لم يتحقق بعد، لاستمرارية التقسيم الطبقي الذي فتح المجال للطبقة البورجوازية في الحصول على الامتيازات في كل الميادين، بتهيئة لها الظروف المواتية مادية كانت أو بشرية. أما الطبقة الشعبية التي تقضي أكبر وقتها في العمل لتلبية متطلباتها الأساسية في الحياة، فإن ظروفها تحدّ من إمكانية حصولها على امتيازات بالرغم من المبادئ الرسمية للعدالة والمساواة التي ينادي بها النظام الديمقراطي، وتبقى القيم المادية و الاهتمام المصالح الذاتية التي تميزت بها المجتمعات المعاصرة في التفاعلات الاجتماعية، من العوامل الجوهرية التي عرقلت إمكانية تحقيق العدالة الإجتماعية في المدن ذات النظام الديمقراطي.

2.2. تشبيه العالم بالمشهد المسرحي:

إذا كان من مزايا النظام الديمقراطي حرية إبداء الرأي والمشاركة في الحياة السياسية والحق في المعارضة بطرق عقلانية وسلمية، فإن هذه المظاهر قد أثرت في شخصية الأفراد وعلى سلوكهم وتفاعلاتهم مع الآخرين، كما دفعتهم في كثير من الحالات إلى تقمص شخصيات متناقضة تماما مع شخصيتهم الحقيقية، لكسب ثقة الغير للحصول على الامتيازات أو للحفاظ عليها.

وفي هذا السياق "يشبه إرفنغ غوفمان العالم بمشهد مسرحي، أين الأفراد عبارة عن ممثلين، لهم أدوار وعلاقات اجتماعية، وتصورات خاضعة لقواعد خاصة. أحد المسائل الأساسية الموجهة للممثلين (في الحياة الإجتماعية كما في المسرح) هي خلق لدى الغير انطباع حقيقي لإقناعهم بالصورة التي يريدون تقديمها لهم عن ذاتهم، لهذا يجب أن يكيفوا عرضهم ومظهرهم الشخصي لدورهم مع تأكيده بإضفاء على نشاطهم إشارات تعزز بعض ردود الأفعال، مثل الحكم الذي يقرر بسرعة كبيرة ليوحي بصحة قراره".(Cabin ,P et Dortier, j, F, 2000, P .104) . وعليه فالحياة اليومية بالنسبة لغوفمان ما هي إلا مشهدا من مشاهد خشبة المسرح أين يقوم الأفراد بأدوار متباينة حسب الظرف وحسب الحاجة، قصد التأثير على الآخرين بطرق غير مباشرة للحصول على مبتغياتهم.

هذا التزاوج بين مظهر الفاعل الاجتماعي وأسلوب أداء دوره هو أحد خصائص التفاعل الاجتماعي في هذه المدن حسب غوفمان، وبالتالي نجاح الفرد في التفاعل مع الغير وفي الاندماج مع الجماعة مرتبط بكفاءته في التمثيل.

يعد إيرفينغ غوفمان من المهتمين بتوضيح مصطلح التمثيل représentation الذي يعتبر الأساس الذي يقوم عليه تصوره " ويصرح أنه يستعمل مصطلح التمثيل représentation للتعبير على كل تنظيم يتم وفق تحويل الفرد إلى ممثل، لا يتم فقط مراقبته بدقة من أجل قبوله واستحسانه وإنما يراقب لتجنيد ملاحظيه ليصبحوا جمهورا له" (Erving, G, 1991,P.123). و ما ينطبق على التمثيل في أي مشهد مسرحي ينطبق على التمثيل في الحياة الإجتماعية، ونجاح التمثيل مرتبط بنجاح جلب أنظار أفراد المحيط الإجتماعي للممثل أو للفاعل الإجتماعي، ومدى قدرته على كسب ثقتهم وإقناعهم، رغم تناقض سلوكه مع اتجاهاته ومواقفه الخاصة. هذه الصورة الخداعية التي يركز عليها غوفمان لدى الأفراد لا تنحصر في دور تمثيلي واحد فقط، وإنما قدرة الفرد كبيرة على تقمص أدوار تمثيلية عديدة بتعدد المواقف التي تتطلب دور معين لبلوغ غاية معينة،

3.2. النفاق أسلوب التعامل في المجتمعات الديمقراطية:

يرى إرفنغ غوفمان أن من مظاهر حياة المدن الكبرى عامة والديمقراطية خاصة هو نفاق الأفراد، وتقديم للغير صورة ايجابية عن ذاتهم، وإذا كان سلوك الأفراد في المجتمع التقليدي قائم على العفوية والصراحة بقدر بساطة العلاقات والحياة الإجتماعية، فإن المجتمع المعاصر يقدس الفرد بإعطائه الحق في الحصول على مراكز في المجتمع إلى جانب تعدد أدواره وتعقد شبكاته العلاقاته الاجتماعية، هذه العوامل تدفع بالفرد إلى محاولة تبني مظهر يتماشى مع محيطه، وتقديم صورة لشخصية متوازنة في كل المستويات، يواجه بها كل الظروف التي يتفاعل من خلالها مع الغير. فغاية الفرد حسب غوفمان هو تقديم صورة مثالية عن ذاته للغير ولو بإتباع أسلوب الخداع والنفاق.

كما أن متطلبات الحياة اليومية في المدن وتعقد شبكة العلاقات الاجتماعية بتعقد ادوار الأفراد و حاجاتهم، وفرت الجو الملائم لانتشار أسلوب التمثيل في التعاملات، وساهمت في إخفاء النوايا الحقيقية للأفراد. ويفسر غوفمان هذه الفكرة بقوله أن " الحياة الإجتماعية ما هي إلا لعبة تمثيلية مفتوحة بشكل خاص، ومؤطرة بضرورتين: الأولى ضرورة العصرنة باعتبار الدور لا يمكن أن يكون شيئا ماديا يمكن عرضه للعيان أو كسبه نهائيا. والضرورة الثانية هي شعائرية، فهذه التقنية الإجتماعية (التمثيل Représentation) تسمح بسلامة التفاعل دون مواجهات عدوانية تنغص هوية الفرد. وفي إطار هاتين الضرورتين يدور الأنا(Moi) في جو من التظاهر لمراقبة الوضع برغبة صادقة ومخفية" (Alain Gauthier, A, 1 1992, P.71) .

إن مقاربة إرفنغ غوفمان لظاهرة التمثيل كانت سوسيولوجية ونفسية في نفس الوقت، بإرجاع أسبابها لعوامل اجتماعية ناتجة عن الحياة المعاصرة، أو للطقوس الإجتماعية التي تحاول باستمرار إيجاد أساليب تحقيق استقرار حياة الجماعة والتفاعل ما بين أفرادها، تفاديا للصراعات التي تؤدي لاختلال توازن المجتمع أو تهدد المكانة الإجتماعية للأفراد، خصوصا في المجتمعات الديمقراطية التي تفتح المجال للأفراد للمشاركة في الحياة السياسية والتي تفرض عليهم إعطاء صورة لشخصية مثالية يرغب فيها عامة الأفراد، وإن كانت مخالفة لحقيقتهم. و نفسية في محاولة فهم المتطلبات النفسية للتأثير على الآخرين خلال التمثيل، بعرض ما يحبذونه لنجاح التفاعل وبلوغ أهدافه بطرق سلمية.

4.2. واقع النظام الاجتماعي في المجتمعات الديمقراطية :

دراسة غوفمان لواقع المدن الكبرى تحت الحكم الديمقراطي كشفت له الصورة السلبية ليس فقط للفرد الديمقراطي وإنما حتى للنظام الاجتماعي ككل. فهو يرى أنه " كلما كان المجتمع عادلا كلما كان مشكل التقدير والاحترام بارزا، بالتعرض لسلسلة من مواقف الإهانات. و إذا كانت المكنات والصفوف الإجتماعية في المجتمع ذو النظام الطبقي قد وزعت ومنحت بوضوح، فإن في المجتمع الديمقراطي تقدم العدالة الاجتماعية كمظهر أساسي يعكس مبادئ النظام، لكن عكس ذلك و بعيدا عن العلاقات العادلة تبقى للمكانة الإجتماعية اعتبار"(Martuccelli,1999,p.443) ،

غوفمان لم يهتم فقط بالعدالة في الحصول على الحقوق والواجبات في ظل المجتمع الديمقراطي، وإنما اهتم أيضا بالعدالة في الحصول على التقدير والاحترام أو في الحصول على الاهانات والاحتقار مما يخل بشرف الأفراد. ومنه يظهر اهتمام ارفينغ غوفمان بالقيم الذاتية التي تراجعت في المدن الديمقراطية، والتي ارتبطت بالمكانة الإجتماعية للأفراد وليس بسلوكهم ودرجة عقلانيتهم، فكلما كانت مكانة الفرد في المجتمع مرموقة، كلما خص بالتقدير والاحترام، و كلما تدنت مكانته في السلم الاجتماعي رغم احترامه للقواعد الإجتماعية، كلما زادت فرص تلقيه الاهانات والمساس بشرفه. علما أن هذه المكانة مرتبطة بالدور التمثيلي الذي يقوم به على خشبة مسرح الحياة الإجتماعية، وبحسن أدائه لهذا الدور مع إبراز ايجابيات دور الشخصية التي تقمصها يتلقى احترام جمهوره.

خلافا لمدرسة شيكاغو التي اهتمت بعوامل انتشار المظاهر السلبية في المدن الكبرى كالجريمة والانحراف وغيرها، والتي كثيرا ما ترجع لتمرد الأفراد عن القواعد الإجتماعية التي لا تلبي طموحاتهم، فإن إيرفينغ غوفمان يفسر المشاكل الإجتماعية بالأنظمة السياسية المستحدثة، فإذا كانت أغلب المجتمعات تطمح إلى تحقيق مبدأ العدالة، فإن في ظل النظام الديمقراطي، مبدأ العدالة يبقى حبرا على ورق لاستمرار التقسيم الطبقي بشكل غير علني، وذلك لاستمرار الطبقة ذات المكانة الإجتماعية المرموقة والمهيمنة على اغلب المراكز العليا في أغلب الميادين الإجتماعية، باستعمال مختلف الطرق بما فيها تقديم صورة مزيفة عن حقيقتهم لكسب ثقة الغير هذا إلى جانب حضيهم باحترام عامة الأفراد الذين تبنوا مستوى المكانة الإجتماعية كمقياس للتقدير والاحترام.

-3. نتائج البحث ومناقشتها:

1.3. الواقع الاجتماعي في المدن الكبرى ذات النظام الديمقراطي:

إرفنغ غوفمان عايش ظروف المجتمع الراس المالي المعاصر الذي عرف تطور أساليب الهيمنة للتقسيم الطبقي واستمرارية الحفاظ على المراكز ضمن هذا التقسيم، رغم انتشار التيارات الديمقراطية التي تنادي بمبدأ العدالة و تكافؤ الفرص بين الأفراد في الحقوق والواجبات. كما عايش تطورات الاتجاهات فكرية التي حللت واقع الحياة الاجتماعية المعاصرة، ضمن المجتمعات الرأس مالية والأساليب الخفية المتبعة للحفاظ على استمرارية التقسيم الطبقي. فهو يرى أن كل من الطبقة العاملة والطبقة البورجوازية تتبعان أساليب العيش واتجاهات فكرية متباينة حسب انشغالات وطموحات كل طبقة. فإذا كانت الطبقة العاملة تسعى لتحسين مركزها الاجتماعي، غير أن واقعها المعاش يعيق إمكانية حصولها على الامتيازات والاستحقاقات التي تسمح لها بالانتقال إلى مركز اجتماعي أفضل بالرغم من المبادئ الرسمية للعدالة والمساواة التي ينادي بها النظام الديمقراطي. وقد تعددت العوامل المحفزة لاستمرارية التقسيم الطبقي حسب الباحثين في هذه الإشكالية: فبيار بورديو يرى أن من النظام التربوي ماهو إلا وسيلة تبنتها الدولة لفرض هيمنتها الغير المباشرة على تصورات الطبقة الشعبية، التي خضعت بكل سلبية لإيديولوجية الموهبة التي تقيد طموحاتها في الارتقاء لمستوى يسمح لها بتولي مناصب مهمة في المجتمع، بحجة أبناء الطبقة البورجوازية أكثر استعدادا لتفجير مواهبهم للحفاظ على استقرار التقسيم الطبقي ، في حين أبناء الطبقة العاملة فإن مستوى مواهبهم لا تسمح بالارتقاء بهم للمراكز المهمة في المجتمع. إميل دوركايم هو الأخر حاول تفسير العوامل المشجعة لاستمرارية التقسيم الطبقي أهمها طغيان

كل من القيم المادية والفردية على القيم الإنسانية والأخلاقية، مما أدى إلى اختلال معايير المجتمع التي كانت تشجع التضامن والتكامل، والتي دفعت بالأفراد إلى الاهتمام بالمصالح الخاصة على حساب المصالح العامة، مما أدي إلى اختلال وظيفة المراقبة الاجتماعية ومنه الوقوع في اصطدام وصراع . إرفنغ غوفمان يرى أن انتشار الصراعات و الانحرافات ضمن المدن الكبرى التي عرفت انتشارا واسعا للحريات الفردية والاهتمام بالمصالح الشخصية، أدى إلى انتشار اتجاهات استكشافية و تحليلية للوضع من مختلف المجالات بحثية كانت أو سياسية أو اجتماعية أو نفسية وغيرها من المجالات .

2.3. تشبيه العالم بالمشهد المسرحي:

يرى غوفمان أن أنسب وسيلة لتفدي الصراعات ضمن هذا الوضع هو النجاح في التفاعلات الاجتماعية مهما كان الأسلوب المتبع في هذه العلاقات، فالغاية تبرر الوسيلة ، فإذا كان الهدف هو تحقيق السلم الاجتماعي و الحد من الصراعات على الأفراد أن يقدموا للغير ما يقبلون به. وقبول الفرد ضمن الجماعة هو مطلبا أساسيا لتحقيق الاستقرار ضمن الجماعة، و عليه على الفرد أن يقدم للجماعة ما يقبلون به ولو في المظهر فقط، و على هذا الأساس طور ارفنغ غوفمان أفكاره التي تخص التمثيل والتي تدعو إلى تقمص شخصيات متناقضة تماما مع شخصيتهم الحقيقية لكسب ثقة الغير للحصول على مراكز معينة أو للحفاظ عليها. هذا التزاوج بين ظاهر الفرد وأسلوب أداء دوره هو أحد خصائص التفاعل الاجتماعي في هذه المدن حسب غوفمان، وبالتالي نجاح الفرد في التفاعل مع الغير وفي الاندماج مع الجماعة مرتبط بكفاءته في التمثيل وتقمص الأدوار والسلوكات المرغوبة، وعليه يتحقق استقرار التفاعلات الاجتماعية .

3.3. النفاق أسلوب التعامل في المجتمعات الديمقراطية:

يشبه إرفنغ غوفمان وضع القناع في المشهد المسرحي بوضع القناع في التفاعلات الاجتماعية ضمن الحياة اليومية، ونجاح التفاعلات الاجتماعية مرتبط بقدرة الفرد على النفاق وإقناع وكسب ثقة الأفراد، رغم تناقض سلوكه مع اتجاهاته الخاصة ورغم عدم تصريحه بنواياه الخفية. هذا الأسلوب المعتمد في أداء الأدوار الاجتماعية قد إنتشر في كل المجالات بما فيه في المجال السياسي. فالنظام الديمقراطي القائم على مبدأ العدالة و المساواة في الحصول على مراكز في المجتمع إلى جانب تعدد أدوار الأفراد و تعقد شبكة علاقاتهم الاجتماعية، هذه العوامل تدفع بالفرد إلى محاولة تبني مظهر يتماشى مع الشخصية المرغوبة والمتوازنة في كل المستويات و في كل الأدوار التي يقوم بها حتى يتمكن من تحقيق مبتغياته بطرق سلمية.

غير أن تفادي الصراعات و نجاح التفاعلات بأساليب الخداع و النفاق لم تنل قبول الاتجاهات الفكرية الأخرى، رغم اتفاقهم على المظاهر السلبية للحياة الاجتماعية المعاصرة نتيجة تراجع القيم الروحية و الجماعية. ف**جورج زيمل** يرى أن متطلبات الحياة الإجتماعية المعاصرة التي عرفت سيطرة القيم المادية على التصورات والممارسات، أثرت سلبا على الأفراد الذين يعانون من عدم الثقة في القواعد الإجتماعية التي تنظم حياتهم، والتي أدت إلى تراكم الخلافات والنزاعات، فأنسب حل حسب سيمل لهذه المظاهر السلبية في المجتمع، هو ليس التظاهر و النفاق في العلاقة مع الآخرين، وإنما هو الصراع الذي ينتهي بالسلم والاستقرار الاجتماعي.

رغم أن **بيار بورديو** لم يشير للتمثيل و إتباع أسلوب النفاق في التفاعلات الاجتماعية بطريقة مباشرة إلا أنه أشار لأهمية تكييف ذاتية الأفراد لتحقيق التكيف الاجتماعي في ظل متطلبات الحياة الاجتماعية المعاصرة. فالعصرنة حسب بورديو لا تستلزم الفصل بين الذاتية والموضوعية في الحياة الإجتماعية أي بين القاعدة الاجتماعية والأهداف المسطرة، حيث أن التصورات الذاتية التي يحملها الأفراد تساهم في تحقيق التكيف بمختلف المواقف الناتجة عن الحياة الحضرية . وعليه فالتمثيل في أداء الأدوار و في التفاعلات الاجتماعية و إخفاء الأهداف الباطنية، هو سلوك ذاتي قيمي لجأ إليه الفرد في ظل ضغوطات الحياة الاجتماعية المعاصرة في المدن والأوساط الحضرية لتحقيق الأهداف العلنية و الضمنية، لتفادي الصراعات الناتجة عن تضارب مصالح الطبقات الاجتماعية.

مما تقدم نخلص إلى أن نظرة إرفنغ غوفمان لتبني مواطني المدن الكبرى ذات النظام الديمقراطي لأسلوب النفاق في التفاعلات الاجتماعية، كانت لضرورة اجتماعية ناتجة عن غياب مبادئ العدالة و تكافؤ الفرص بين الأفراد المنتمين لمختلف الطبقات الاجتماعية، لتراجع القيم التي تنظم الحياة الاجتماعية كالقيم الروحية و القيم الجماعية، والتي فتحت المجال للفردانية التي شجعت الاهتمام بالمصالح الشخصية، إلى جانب للإستراتيجيات المعاصرة التي تهدف إلى تحقيق الاستقرار و النظام بإتباع أساليب ذاتية قائمة على التظاهر و التمثيل، في تحقيق الحاجات والطموحات دون إثارة منافسيه خاصة و محيطه عامة، تفاديا للصراعات التي تؤدي لاختلال توازن المجتمع أو تهدد المكانة الإجتماعية

للأفراد، خصوصا في المجتمعات الديمقراطية التي تفتح المجال للأفراد للمشاركة في الحياة السياسية والتي تفرض عليهم إعطاء صورة لشخصية مثالية يرغب فيها عامة الأفراد، وإن كانت مخالفة لحقيقتهم.

4.3. واقع النظام الاجتماعي في المجتمعات الديمقراطية :

تتأثر الحياة اليومية للأفراد بالنظام الاجتماعي السائد، فإذا كان النظام الاجتماعي يوفر شروط الاستقرار للعيش من حاجات أساسية كالتغذية والأمن والصحة والتعليم والمسكن والعمل، فضلا عن الحاجات الاجتماعية التي كثيرا ما تتوقف على العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد والتي تتطلب قيم تحقق العدل والتوافق الاجتماعي، لأن طبيعة الحياة الاجتماعية تفرض على الفرد العيش مع الأخر وتفرض التعاون والتكامل في أداء الأدوار والوظائف الاجتماعية، فإن هذه العوامل مطلبا أساسيا لضمان حياة يومية مستقرة وتفاعلات إجتماعية متوازنة . وعليه يمكننا الجزم بأن واقع النظام الاجتماعي يؤثر على الحياة اليومية للأفراد و على طبيعة التفاعلات الاجتماعية بينهم.

إرفنغ غوفمان تناول هذه القضية بالتحليل، بحيث بحث في الثنائية النظام الاجتماعي و النظام الديمقراطي ميدانيا مستندا على تحقيقاته الميدانية، وقد ركز على دراسة المدن الكبرى للمجتمع الأمريكي المتبنية للنظام الديمقراطي، وأثار هذا النظام على الحياة الإجتماعية وحياة الأفراد، كما اهتم بطبيعة التفاعلات الاجتماعية وإنعكساتها على الحياة الاجتماعية. وقد توصل إلى أن النظام الديمقراطي المبني على أسس العدالة والمساواة والمصالح المشتركة يعاني من ضغوطات متناقضة، بين شروط تحقيق المساواة بين كل الأفراد مهما كان صفهم الاجتماعي و انتمائهم القومي من جهة، واستمرارية السلم و الاستقرار الاجتماعي من جهة أخرى.

ويسلط إرفنغ غوفمان الضوء على التناقض القائم في المدن الكبرى بين مبادئ الديمقراطية و واقع الحياة الاجتماعية، بحيث يصعب تطبيق مبدأ العدالة بين الأفراد لتباين المصالح و لانتشار القيم الفردية التي تعزز الذاتية والأنانية، وذلك راجع لطبيعة المجتمع الطبقي الذي فتح المجال للطبقة البورجوازية في الحصول على امتيازات في كل الميادين، بتهيئة لها الظروف الملائمة اجتماعيا و ماديا وفكريا، و هو ما يتوافق مع منظور بيار بورديو الذي يؤكد على فكرة النظام الذي يدعم استمرارية التقسيم الطبقي بشكل غير علني في المجتمع الذي ينادي بالحريات والعدالة والاخوة من خلال نظام التعليم الذي يميز بين أبناء الطبقة المحظوظة و أبناء الطبقة الأقل حظا في النجاح ومواصلة الدراسة، وحتى في التسجيل في التخصصات العلمية التي تسمح بالحصول على مراتب عليا في المجتمع.

الخاتمة:

المجتمعات المعاصرة عرفت تغيرات في الأفكار و الممارسات على مستوى الأفراد و الجماعات، و على مستوى البيئة الاجتماعية بمختلف هياكلها ومضامينها. و قد مس هذا التغيير المناطق الحضرية خاصة و المدن الصناعية بمختلف أنظمتها الاجتماعية مما أثر على الحياة اليومية للأفراد وعلى تفاعلاتهم. إرفنغ غوفمان ركز في بحوثه على الحياة اليومية للأفراد في المدن الكبرى خاصة المتبنية للنظام الديموقراطي، و إذا كان من مزايا هذا النظام حرية التعبير وإبداء الرأي، وإشراك الشعب في النشاط السياسي والحق في المعارضة بطرق عقلانية وسلمية، فإن هذه المظاهر قد أثرت في شخصية الأفراد وعلى سلوكهم، كما دفعتهم في كثير من الحالات إلى تقمص شخصيات متناقضة تماما مع شخصيتهم الحقيقية، بتقديمهم للأخرين الصورة التي يحبذونها لكسب ثقتهم بغرض تحقيق أهدافهم وطموحاتهم مادية كانت أو مراكز اجتماعية في مختلف المجالات. أسلوب التظاهر المنتشر بين الأفراد في المدن الكبري وفي البيئة الحضرية عامة جعلت إرفنغ غوفمان يشبه العالم بمشهد مسرحي يلعب فيه الأفراد أدوار وعلاقات اجتماعية، وتصورات خاضعة لقواعد خاصة تهدف إلى خلق لدى الغير انطباع حقيقي لإقناعهم بالصورة التي يريدون تقديمها لهم عن ذاتهم. وعليه فإن الثنائية القائمة على مظهر الفاعل الاجتماعي وأسلوب أداء دوره، هو أحد خصائص التفاعل الاجتماعي في المدن الصناعية الكبرى حسب غوفمان، وبالتالي نجاح الفرد في التفاعل والاندماج مع الغير مرتبط بكفاءته في التمثيل و الحصول على مبتغياه. علما أن استعماله لمصطلح التمثيل لم يكن كأسلوب يتبعه الأشخاص في تحقيق أهدافهم فقط، و إنما استعمله في إطار البناء و النظام الاجتماعي ككل، لأن هذا الأخير هو الذي وفر للأفراد الظروف القيمية و الاجتماعية التي دفعتهم للتمثيل دون إثارة انتقاد المحيط الاجتماعي لهذه الممارسة، بل عكس ذلك كلما أتقن الفرد التمثيل كلما توسع جمهور مشاهديه و كلما توسعت فرص تحقيق مبتغياته في جو مسالم ـ و الأخطر من ذلك أن التمثيل لا يتوقف على تقمص دور واحد فقط و إنما الأدوار تتعدد بتعدد حاجات و أهداف و طموحات الأفراد. و إذا كانت أهم مبادئ النظام الديمقراطي إعطاء الحق للجميع في الحصول على مراكز في المجتمع و تعدد

الأدوار في ظل المدن الكبرى، هذه العوامل شجعت الأفراد على ارتداء أقنعة في تفاعلاتهم الاجتماعية وتبني مظهر يتماشى مع الدور الذي يقومون به لكسب ثقة الغير مما يسمح بتحقيق أهدافهم.
إن مقاربة إرفنغ غوفمان للتمثيل نابعة من ظروف الحياة اليومية للأفراد ومن طبيعة تفاعلاتهم مع الغير التي أصبحت ترتكز على تحقيق مصالح شخصية خاصة أو متبادلة، وترجع أسبابها لعوامل اجتماعية ناتجة عن الحياة المعاصرة، أو للطقوس الإجتماعية التي تحاول باستمرار إيجاد أساليب تحقيق استقرار حياة الجماعة والتفاعل ما بين أفرادها، تفاديا للصراعات التي تؤدي لإختلال توازن المجتمع أو تهدد المكانة الإجتماعية للأفراد. دراسة غوفمان لواقع المجتمعات الديمقراطية سمحت له بإعطاء صورة سلبية ليس فقط للفرد الديمقراطي وإنما حتى للنظام الاجتماعي ككل. فهو يرى أنه كلما كان المجتمع متبنيا للأنظمة التي تدعو لتحقيق العدالة و المساواة، كلما كان مشكل تقدير الآخر بارزا، بالتعرض لسلسلة من المواقف التي تعزز الطبقية.
في الأخير يمكننا أن نخلص إلى أن إرفنغ غوفمان قد فسر الحياة الاجتماعية في المدن الصناعية الكبرى بالأنظمة السياسية، فإذا كانت أغلب المجتمعات تطمح إلى تحقيق مبدأ العدالة، فإن في ظل النظام الديمقراطي، مبدأ العدالة يبقى حبرا على ورق لاستمرار التقسيم الطبقي بشكل غير علني مما انعكس على واقع التفاعلات الاجتماعية و على الحياة اليومية للأفراد..

المراجع:

- جلبي علي عبد الرزاق ، 2011. الاتجاهات الاساسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- غدنز أنتوني ، 2005. علم الاجتماع، ترجمة د. فايز الصباغ ، المنظمة العربية للترجمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان،
- Bell Daniel, 1973. The Coming of Post – industrial Society: A Venture in Social Forecasting (New York: Basic Books)
- Cabin Philippe et Dortier jean François 2000. La Sociologie : histoire et idées, Editions sciences humaines, Paris.
- Castells Mannuel, 1996. The Rise of the Network Society, (Oxford: Blackwell)
- Gauthier Alain, 1992. La trajectoire de la modernité : représentations et images, Editions Presses universitaires de France.
- Goffman Erving1991. Les cadres de l'expérience, traduit par Isaac Joseph avec Michel Dartevelle et Pascale Joseph, les Editions de Minuit, Paris.
- Martuccelli Danilo, 1999. Sociologies de la modernité, Editions Gallimard, France.